نور للأمم ؟!

يستطيع القرد، قبالة المرأة، ان ينبهر بجماله الفتان .. ويستطيع القرد ان يبدو غزالا في عين امه، بيد ان مقاييس الجمال المتعارف عليها في كل قطر على حدة، وعلى المستوى العالمي بشكل عام، تستطيع هي الاخرى ان توقف القرد عند حده وان تجاهره صراحة وبلا مواربة: "انت قرد، وانبهارك الشخصي بجمالك المفقود لا يغير من الحقيقة ولا يبدل. انت قرد، ونعت الجمال ليس من حقك. الان على الاقل. اما اذا كنا نحن مقاييس الجمال قد تغيرنا، واذا كانت الطبيعة قد اختارت الوقوف على رأسها فهذه مسألة اخرى، آنذاك ستكون يا سيادة القرد مرشحا طبيعيا لاعتمار تاج الجمال الكوني!"

نخرج الان من كليلة ودمنة وندخل الواقع مباشرة: قبل ايام تحدث موظف اسرائيلي رسمي الى اذاعة اسرائيل الرسمية عن دورة تدريبية ما تستضيف دائرته فيها عددا من اخواننا الافارقة. فجأة صاح المذيع منبهرا بجماله:"نحن فعلا نور للامم!".

وللذي لا يعرف، فان "نور للامم" (اور لغوييم) هذه، هي تعبير ديني يهودي، اصبح حلقة اساسية في عمود الصهيونية الفقري، لما يمكن استشفافه منه، من معان يجوز استخدامها في صالح الدعاوي العنصرية لدى هذه الايديولوجيا التعيسة.

لا شأن لي هنا بالدين والايمان الديني. الذي يعنيني هو الهوة السحيقة وغير القابلة للجسر، بين شعارات الحركة الصهيونية من طراز "شعب الكتاب"، "نور للامم" و"واحة الدمقراطية" الخ، وبين الواقع المشين الذي تجسده هذه الحركة بممارساتها المشينة، والتي تعدت بلادنا لتنشر "نورها" على العالم.

من المسائل المعروفة اليوم ان اسرائيل لم تعد مجرد هراوة في يد الولايات المتحدة بل اصبحت قاعدة واشنطن الاساسية في المنطقة. ولهذه القاعدة اذرعة اخطبوطية فظيعة في كل مكان تبلغه مصالح الكوكا كولا والجنرال موتورز وغيرها من الاحتكارات الامبريالية الامريكية والمشاركة لها والضالعة معها والمتقربة منها.

ومن الاسرار الشائعة ان حكام اسرائيل يوزعون السلاح والمؤامرات المعادية للشعوب على سبع عشرة دولة في امريكا اللاتينية حيث ينتشر "نور" الدكتاتوريات والفاشية والقمع الهمجي والاغتصاب والنهب على اوسع نطاق.

لاجل هذا "النور" تتحرك قوات الانتشار السريع الامريكية ومشاة البحرية (المارينز) سيئة الصيت. واذا كانت امريكا مشغولة بفضيحة ما او اذا كانت راغبة في نوم الضحى فانها تجد صبياننا متطوعين لخدمتها بما تيسر من فضة. وفي طليعة هؤلاء المتطوعين يقف اليوم، بلا ريب، حكام اسرائيل على اختلاف اسمائهم.

وليس حكام اسرائيل هم المصدر العريق الوحيد "لنور الامم" هذا، فهناك حكام بريتوريا الذين لا يقلون انبهارا بجمالهم بل يزيدون ويزاودون. ولم ننس بعد "الاهانة" المدوية التي وجهها احد حكام جنوب افريقيا الى وفد اسرائيلي زار بريتوريا ذات يوم ظانا نفسه وفدا ابيض كالثلج فراح يبدي بعض الملاحظات التي لم تعجب

بيض بريتوريا الاصليين فانفجر احدهم في وجه ضيوفه الاسرائيليين: "لا تنسوا انتم ايضا انكم لستم من البيض الحقيقيين! انتم ايضا ملونون!!".

وضعت كلمة "الاهانة" بين اقواس مزدوجة لان كون المرء ملونا او اسود او اصفر او احمر ليس اهانة الا لدى القرد المنبهر بجماله قبالة المرآة!!

ومن الامور المأساوية الملهاوية ان حكام اسرائيل تربطهم بحكام بريتوريا علاقة متميزة وغريبة لا تنسجم اطلاقا مع ادعائهم بانهم يمثلون شعبا سحقته النازية. فكيف يمكن ان نفسر علاقة الحب هذه بين ضحايا العنصرية الهتلرية وبين نظام الابرتهايد، هذه الصداقة التي حولت النظامين معا الى ترسانة عسكرية ضخمة تحت تصرف لصوص العالم الكبار، قتلة الحرية، ومغتصبي الدمقراطية، ومستعبدي الكرامة الانسانية؟!

وفوق ذلك يعودون الى المضحك المبكي دائما وابدا: نور للامم!

اي نور؟

واية امم؟!

«الاتحاد» ١٩٨٧/٢/١٣